مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــــــــــــــ رقم ISSN 2661- 7307
المجلد 2 . العدد 2 . السنة 2020 ص 128 - 144

دور قبائل الأغواط في مقاومة الاحتلال الفرنسي – قبائل الأرباع أنموذجا –

The Role of the Laghouat Tribes in the Resistance to French Colonial Occupation: The Arbāʿ Tribes as a Case Study

د. تواتي حسين

جامعة عباس لغرور –خنشلة–: *Hocinetou13@hotmail.fr*

الملخص:

نعالج في بحثنا هذا والموسوم بـ: مقاومة قبائل الأغواط للاحتلال الفرنسي – قبيلة الأرباع أنموذجا– مقاومة أهل الأغواط وخاصة قبائل الأرباع للتوسع الاستعماري الفرنسي في منطقة الأغواط خاصة والجنوب الشرقي عموما من خلال المقاومة التي قادها زعيم الأرباع بناصر بن شهرة ضد الاحتلال الفرنسي. إضافة إلى مقاومة أحد أبطال المنطقة وهو الشريف بوشوشة.

الكلمات المفتاحية: المقاومة _ الاحتلال الفرنسي _ الأغواط _ الأرباع _ بناصر بن شهرة _ الجنوب الشرقي.

Summary :

In this research titled as « Laghouat tribal resistance to the French occupation-the tribe of El-Arbae example- », we treat the resistance of the people of Laghouat, especially El-Arbae tribes, to the French occupation expansion in the region of Laghouat in particular, and in the so the east of Algeria in general through the resistance that the leader Bennasser Ben Chohra led against the French occupation. As well as the resistance of one of the region her oeswhois « Echerif Bouchoucha ».

Key words :The French occupation – Laghouat –El-Arbae– Bennaser Ben Chohra – The Southeast.

 *https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4793 *المؤلف المرسل

مـــقدمـــة

يعتبر الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية خطة استعمارية متكاملة الأركان بالنسبة للسلطات الفرنسية، فهي من جهة تحقق غايتها في السيطرة على كامل التراب الجزائري، شماله بجنوبه[1]، ومن جهة أخرى تضمن لنفسها العمق الاستراتيجي لمد نفوذها نحو افريقيا جنوب الصحراء، ففرنسا الاستعمارية ادركت يقينا –بفعل الكشوفات الجغرافية وامتداد الحركة الاستعمارية إلى ما وراء البحار—الموقع الاستراتيجي الهام للصحراء الجزائرية، والتي تربط شمال القارة الافريقية بجنوبها، وشرقها بغربها.[2] في هذا الإطار تعتبر مدينة الأغواط من أهم المدن التي ركز المستعمر على بسط سيطرته عليها لاعتبارها تتوسط القطر الجزائري قاطبة. حيث يمكن الانتقال عبرها بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب بسهولة وأقصر مدة ممكنة. حيث ذكر الجنيرال مايي مونج (Maye Monge) قائد منطقة المدية بعد ما اتصل به أحمد بن سالم طالبا مساعدة القوات الفرنسية وتثبيته خليفة على الأغواط أن السيطرة على هذه المدينة واعادة تنظيمها تجعل الأغواط مركز تحرك عسكري وسياسي واداري وتجاري، وتقطع كل تواصل بين شرق وغرب الجزائر. فما هي ظروف احتلال مدينة الأغواط؟ كيف كان رد فعل اهلها تجاه التوسع الفرنسي في بلادهم؟ ومن أشهر المقاومين منهم؟

---

[1] – اعتبرت السلطات الاستعمارية الفرنسية السيطرة على كامل التراب الجزائري ضمانا لأمنهم وحماية له، وذلك وفق مقولة: "... ينبغي أن نسيطر على كل مكان، وإلا لن نأمن في أي مكان..." ينظر: (Au) Bernart et (N) Lacroix ,La pénétration Saharienne (1830-1906),Alger ,1906 ,p 2.

[2] – مسعود الخوفة ،الموسوعة التاريخية والجغرافية ،ج11 ،بيروت ،(د.ت) ،ص 216 ؛علي زغدود ،ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية ،المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ،الجزائر ،2004 ،ص 172.

هذه التساؤلات وغيرها سنحاول الإجابة عنها في بحثنا هذا والموسوم بـ :" دور قبائل الأغواط في مقاومة الاحتلال الفرنسي – قبائل الأرباع أنموذجا – "

1- التوسع الفرنسي في منطقة الأغواط.

إذا كان التواجد الاستعماري بمنطقة الأغواط يعود إلى سنة 1844 م ممثلا في أحمد بن سالم الذي عينه ماري مونج (Marye Monge) خليفة على على الأغواط ونواحيها،[3] وطلب من السلطات الفرنسية اقرارا بذلك، لأن هذ الخليفة يضمن النفوذ الفرنسي في الأغواط بشكل كلي. جاء في تقرير ماري مونج: " ... إن الاعتراف بتعيين بن سالم خليفة على المنطقة يمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي في الأغواط، باعتباره شخصية مرموقة وعدو لعبد القادر –يقصد الأمير عبد القادر– ،وهكذا فإن بن سالم يعتبر اهم وأقوى قادة الجنوب تسانده قوة عسكرية تقدر بألف ماءتا جندي وخمسمائة فارس وقطعة مدفعية. ..."[4]

ظل تواجد السلطات الاستعمارية بمدينة الأغواط ممثلا في بن سالم حتى سنة 1952 م ،وبعد ثلاث سنوات من سقوط واحة الزعاطشة في 24 سبتمبر 1849[5] التي

[3] – يعود سبب استنجاد أحمد بن سالم بالفرنسسيين إلى عزل الأمير عبد القادر له وتعيين الحاج العربي حفيد الحاج عيسى الأغواطي أثناء محاصرته لعين ماضى وحاكمها محمد الصغير التيجيني. =عن هذه الأحداث ينظر: Louis Rinn , Marabouts et Khouans, Adolphe Jourdan libraire éditeur, Alger, 1884, p p 426 – 428.

[4] – نقلا عن: ابراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 125.

[5] – الزعاطشة واحة تقع على بعد 35 كم جنوب غربي بسكرة تثار سكانها في وجه الاحتلال الفرنسي بزعامة الشيخ بوزيان مقدم الطريقة الدرقاوية .ينظر: منور العربي تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ،دار المعرفة ،الجزائر ،2006 ،ص 199، 200.

يعتبر سقوطها بداية التدخل العسكري الفعلي في الجنوب الجزائري، حيث قرر الحاكم العام للجزائر المارشال راندون تجهيز حملة عسكرية كبيرة لاحتلال المدينة وضعها تحت قيادة الماريشال بيلسي ،وكان تحت امرته الجنرالين يوسف وبيان .وقد تمكنت هذه الحملة من احتلال مدينة الأغواط في 04 ديسمبر 1952 م[6] .ويذكر العالم الكيميائي والباحث في التاريخ، العراقي عبد الكاظم العبودي أن القوات الاستعمارية الفرنسية ارتكبت خلال غزوها لمدينة الأغواط في الفترة ما بين 22 نوفمبر و02 ديسمبر 1952 م أول جريمة ابادة جماعية بالأسلحة الكيماوية في العالم ،وقد ذكر أن عدد القتلى قد قدر حسب رواية الجنيرال دي باري بحوالي 3800 شهيد من مجموع سكان المدينة الذي كان يقدر بحوالي 4800 نسمة.[7]

ومن الأغواط بدأت الحملات التوسعية العسكرية نحو عمق الجنوب الجزائري حيث تم احتلال غرداية سنة 1953 م، وتوقرت وورقلة سنة 1881 م، والمنيعة سنة 1891 م، وعين صالح سنة 1898 م، ومنطقة أدرار سنة 1900 م.[8]

2- مقاومة قبيلة الأرباع للاحتلال الفرنسي.

بدأت مقاومة التوسع الفرنسي من طرف قبائل الأغواط وخاصة قبائل الأرباع قبل الغزو العسكري الفرنسي للمنطقة سنة 1962 م .وتزعم هذه المقاومة الثائر بناصر بن شهرة زعيم الأرباع سنة 1951 م ،حيث يذكر في هذا الصدد: " ... لما رفض بناصر بن

[6] - (J) Millia ,Lagouat ou Les maisons entourées de jardins ,librairie plon ,Paris ,1923 ,p 45.

[7] - مقال للدهم عيسى نشر في منتديات الجلفة يوم 31 /10 /2009.

[8] - (O) Petit ,Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat ,collège de Paris ,1976 ,p 43.

شهرة أن يطيع سهره الخليفة بن سالم ... ورفض الغرنسيون تعيينه آغا على الأرباع سنة 1946 م ،تمرد وحمل السلاح منذ سنة 1951 م ،قبل أن يتم اعتقاله رفقة مجموعة من كبار الأرباع ،وتم وضعه تحت الاقامة الجبرية قرب بوغار..." [9] لذلك يعتبر الثائر بناصر بن شهرة قائد وزعيم مقاومة الأرباع للاحتلال الفرنسي ليس في الغواط فحسب بل في كامل الجنوب الجزائري.

1.2 – التعريف بقبيلة الأرباع.

يذكر إبراهيم الساسي العوامر أن الأرباع من العرب القحطانية فهم أبناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان.[10]

واستقرت فبيلة الربعاء بمنطقة الأغواط حوالي القرن الحادي عشر قادمة من منطقة أولاد جلال بالزيبان، وهي ومشكلة من أربع فرق – ولعل هذا سبب تسميتها بالأرباع– هي المعامرة، الحجاج، أولاد زيد، وأولاد صالح.[11] وقبيلة الأرباع اليوم تضم عشر فرق هي: الحجاج، لعمامرة، الزكازكة، أولاد سيدي سليمان ،الحرازلية أولاد بن شاعة، أولاد

[9] – بينما يذكر عبد الحميد زوزو أن بن شهرة كان آغا للفرنسيين على الأرباع قبل انضمامه إلى مقاومة محمد بن عبد الله بالجنوب .ينظر مقال: الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، مجلة الأصالة، العدد 41، لسنة 1977 ،ص 111.

[10] – ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،منشورة ثالة ،الجزائر ،2007 ،ص 376.

[11] – (E) Mangine ,Not sur l'histoire de Laghouat ,Révue Africaine ,1893 ,p 377.

صالح، أولاد بوزيان، أولاد سيدي أعطا الله، العبابدة صفران، مخاليف الصحراء. [12] والأرباع اليوم اسم لإحدى بلديات ولاية الأغواط ،متداخلة مع بلدية الأغواط، 95 ٪ من سكانها من البدو الرحل، وأغلب نشاطهم تربية المواشي. [13]

2.2 – بناصر بن شهرة حامل لواء مقاومة الأرباع للاحتلال الفرنسي.

هو بناصر بن شهرة بن فرحات ولد بقبيلة الأرباع عام 1804 م. كان ربعة أشقر اللون أحمر الشعر ،كثيف شعر الحاجبين يعتم مثل الأمير عبد القادر ويلبس الحايك من الصوف ،وينتعل الحذاء الطويل ،كان جده بن فرحات وأبوه بن شهرة قائدين وشيخين على الأرباع تواليا.

نشأ بن ناصر بن شهرة على الكرم والفروسية والإقدام وأحداث الكر والفر ،كان ماهرا في الرمي يضرب بالرصاص فيصيب، وكان إذا حمي وطيس المعركة تلثم وأقدم على القتال. كما نشأ متمسكا بسيرة أسلافه شيوخ الأرباع وزعماء الصحراء على الطريقة القادرية.[14] كان ضليعا بدقائق الصحراء عالما بخباياها أو كما وصفه المؤرخ الفرنسي لوي

[12] – محمد سويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 167.

[13] – نفس المرجع، ص 168.

[14] – تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني بن إبي صالح موسى الحسني المزداد 471هـ/1079م والمتوفى ببغداد سنة 561هـ/1166م ،وهي من أقدم الطرق الصوفية ظهورا في العالم الاسلامي .توجد الزاوية الأم للطريقة بغداد ،ويعتبر الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي أول من أسس فرعا للطريقة القادرية بالجزائر سنة 1200م .،وتعتبر القادرية الطريقة الأم لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها. ينظر: أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 ،ص 42،43 ؛عمار هلال الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا الصحراء ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،1899 ،ص 109. .

رين كان الملاح الحقيقي للصحراء. [15] وتزوج بن ناصر بن شهرة ثلاث زيجات ،كانت الأولى من بنت سلطان مدينة الأغواط السيد أحمد بن سالم والتي طلقها بعدما رفضت مرافقته إلى أعماق الصحراء أين عزم على مقاومة الاحتلال الفرنسي. وبمدينة ورقلة تزوج من بنت أحد قادتها وهو من المخادمة [16] وكانت تسمى"الياقوت" والتي توفيت بعدما أنجبت له ولدين – محمد وبن شهرة – ليتزوج من المرابطية "نوة" أخت مولاي عبد القادر الإدريسي والتي أنجبت له ولدين وثلاث بنات. [17]

إن البيئة التي نشأ بها بناصر بن شهرة ،والخصال التي شب عليها جعلته يرفض الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ البداية ،لذلك قرر التصدي له ومنعه من التوغل نحو الجنوب الجزائري بكل ما أوتي من قوة ويقول في ذلك لوي رين: « في نفطة كان بناصر بن شهرة الذي خلف أباه كآغا على الأرباع سنة 1946 م ،يقوم منذ سنة 1951 م بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ،ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو القبائل التي رضخت لنا ... »[18]، وقد اشتهر بناصر بن شهرة بدعوته القبائل للتمرد على الاحتلال وذلك عن طريق الخطب والوعو، وقد نجح إلى حد بعيد في عمله هذا ،وهو ما

[15] – عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 182.

[16] – المخادمة من العرب الهلالية الذين استقروا بمنطقة ورقلة سميوا كذلك نسبة لجدهم مشرف أبو مخدم ،يعود نسبهم إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ينظر: ابراهيم محمد الساسي العوامر ،المرجع السابق ،ص 371.

[17] – عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 182.

[18] – (L) Rinne ,Histoire De L' insurrection De 1871 en Algérie, Alger, 1891, p 105

دفع بالإدارة الاستعمارية إلى تغيير ممثليهم في المنطقة واستبدالهم بموظفين آخرين أكثر طاعة وإخلاصا .[19]

بدأ بناصر بن شهره جهاده سنة 1851م ضمن قوات الثائر الشريف محمد بن عبد الله [20] الذي شن ثورة للتصدي لزحف السلطات الاستعمارية نحو الجنوب الشرقي الجزائري بعد ما بايعه أهل الأغواط وتوقرت وورقلة على السمع والطاعة وعلى الجهاد فخاض ضد القوات الفرنسية عدة معارك كان له النصر فيها ،وكبدها خسائر فادحة في العتاد والأرواح و أثناء إحدى المعارك قرب مدينة ورقلة تمكن السي حمزة – من أولاد سيد الشيخ – وقواته من التغلب على الشريف محمد بن عبد الله في شهر أكتوبر 1861م في نقوسة وحول بعدها إلى سجن الجزائر لمدة سنتين ليطلق سراحه و يبقى تحت الإقامة الجبرية. [21]

[19] – صالح فركوس ،تاريخ الجزائر من ما قبل إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى ،دار العلوم ،عنابة ،الجزائر ،2005، 273، 274.

[20] – هو أبو الطيب ابراهيم بن أحمد يعود أصله إلى أسرة عريقة يصل نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق فاطمة رضي الله عنها ،وينحدر ليصل إلى جد أبيه الشيخ العلامة محمد بن عيسى دفين تلمسان ،قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي بالجنوب الشرقي الجزائري بعد عودته من الحج بداية من 1951م. للمزيد عنه ينظر: يحي بوعزيز ،كفاح الشريف محمد بن عبد الله ،مجلة الثقافة ،عدد33، السنة6 ،1976، ص ص 11-24؛ العربي منور ،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ،دار المعرفة ،الجزائر ،2006 ،ص 200، 201.

[21] – العربي منور ،المرجع السابق ،ص 201.

وبعد اندلاع ثورة أولاد ثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م [22] اتصل الشيخ بن ناصر بن شهرة بالشيخ سي لعلا زعيم أولاد سيد الشيخ واشترك معه في قيادة الثورة ،وكان له دور كبير في تجنيد المجاهدين من توات وشعانبة والتوارق أيضا. كما شارك في معركة عين ماضي بين أولاد سيد الشيخ وقوات الاحتلال الفرنسي والتي كانت فيها الغلبة للقوات الفرنسية الأكثر عدة وعددا. [23]

لم تثبط هذه الهزيمة من عزيمة بناصر بن شهرة في مقاومة الاحتلال الفرنسي التي نذر نفسه لها حيث وفي شهر مارس من نفس السنة – 1869 م – التقى بقوات الشريف بوشوشة وشارك معه في السيطرة على مدينة المنيعة بعد طرد قائدها الذي عينته السلطات الاستعمارية [24]،وفي 05 ماي 1871م أصبح بناصر بن شهرة خليفة للشريف بوشوشة على حامية ورقلة بعدما استولى عليها هذا الأخير وجعلها قاعدة لثورته. [25]

وعند وصول الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر إلى نفزاوة بطرابلس الغرب اتصل ببناصر بن شهرة الذي كان كثير التردد على منطقة نفطة لتأمين المال والسلاح للمقاومة ،فالتقى به على الحدود رفقة الشيخ سليمان بن جلاب سلطان تقرت السابق الذي كان قد ابعد إلى تونس منذ 1854م ،والشيخ ابراهيم بن عبد الله مقدم الطريقة القادرية بورقلة ،والشيخ محمد زروق بن سيدي صالح البسكري الذي كان له دور كبير في مقاومة

[22] – اندلعت هذه المقاومة من طرف أولاد سيد الشيخ فرع الشراقة تحت قيادة زعيمهم سي سليمان بن حمزة. للمزيد عن هذه المقاومة ينظر: أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص ص 179–189 ؛العربي منور ،المرجع السابق ،ص ص 211–213 ؛صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 234 ،235.

[23] – عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 184.

[24] – عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 184.

[25] – (L) Rinne , (L) Rinne ,Histoire De L' insurrection ,p 615 et suiv

الزعاطشة سنة 1849م ،وغيرهم من الزعامات التي كان لها ماض تاريخي مشرف في مقاومة الاحتلال. [26]

ومن هناك شرع الأمير محي الدين رفقة الشيخ بناصر بن شهرة في الدعوة للجهاد وتأمين المؤن والذخيرة ،وتجنيد الناس ،وذلك عن طريق مراسلة زعماء المناطق الجزائرية ومن بينهم الشيخ المقراني ،وكانت هذه الرسائل بعضها من امضاء الأمير محي الدين ،والبعض الآخر من امضاء الشيخ بناصر بن شهرة.[22] وكان من جملة هذه الرسائل حوالي 44 رسالة وقعت في أيدي القائد العسكري لناحية بسكرة ،كانت موجهة إلى كل من علي باي آغا تقرت ورقلة ،وإلى أعيان سوف والأغواط ومتليلي ومزاب والمخادمة والشعانبة ،وإلى الشريف بوشوشة وغيرهم. [27]

بعد لقائه بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر بدأت مرحلة جديدة من مقاومة بناصر بن شهرة الذي استقر رفقته بعين صالح على رأس قوات من ثوار الجنوب الشرقي ،وهناك اجتمعا مع قوات الشريف بوشوشة وقوات سي الزبير من أولاد سيد الشيخ [28]،ومن هناك شنت هذه القوات هجومات على القوات الفرنسية تمكنت على اثرها من السيطرة على توقرت وورقلة ونقرين وتبسة ،مستغلين انشغال القوات الاستعمارية بمواجهة مقاومة المقراني والشيخ الحداد .

[26] - ibid ,p p 105-108.

[27] - ibid ,p 105,106.

[28] - ibid , p 138,139 et p 90 et pp 105-108..

وبعد استشهاد المقراني وأسر الشيخ الحداد كان للشيخ بناصر بن شهرة دور كبير في مساعدة آل المقراني على الدخول إلى الأراضي التونسية هروبا من بطش المستعمر. [29]

وبعد انسحاب الأمير محي الدين إلى تونس اثر هزيمته أمام قوات الجنرال بوجي بوادي الحميمة في 26 مارس 1971م ،وأسر الشريف بوشوشة بالقرب من عين صالح سنة 1874م [30] وتفرق أغلب قواتهما بقي الشيخ بناصر بن شهرة لوحده يناوش القوات الاستعمارية انطلاقا من الجريد ونفزاوة قبل أن يلجأ إلى تونس التي غادرها مرغما من طرف باي تونس إلى بيروت في 2 جوان 1975م رفقة الشيخ الكبلوتي ،وفي بيروت استقر بجوار الأمير محي الدين حتى وفاته سنة 1884م عن عمر ناهز الثمانين سنة. [31]

لم يكن بناصر بن شهرة الزعيم الوحيد من منطقة الأغواط الذي قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي بمنطقة الأغواط والجنوب الشرقي الجزائري ،بل تزعم المقاومة أيضا ثائر آخر من المنطقة ،ومن منطقة الغيشة قرب آفلو بالضبط، وهو الزعيم الثائر الشريف بوشوشة وهو محمد بن التومي بن إبراهيم الملقب بـ: بوشوشة ولد ببلدة الغيشة بالقرب من آفلو حوالي 1839م حسب الدكتور أبي القاسم سعد الله[32] ،وحسب الدكتور يحي بوعزيز فإنه ولد حوالي 1826م أو 1827م ،وهذا مذهب إليه أيضا محمد الأخضر

[29] – كان عدد المقرانيين الذي التجأوا إلى تونس اثر معركة عين الطيبة بالجنوب الشرقي في 17 جانفي 1872م حوالي خمسمائة شخص مقسمين على حوالي مائة عائلة صغيرة .ينظر: يحي بوعزيز ،ثورة 1971 ،ص 329.

[30] – ابراهيم محمد الساسي العوامر ،المرجع السابق ،ص 318 ،هامش 1.

[31] – يحي بوعزيز ،وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة ،مجلة الثقافة ،عدد 31 ،السنة 6 ،1976 ،ص ص 39-48.

[32] – كتاب الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278.

السائحي. [33] لقب ببوشوشة لكثافة شعر رأسه أو لخصلة بارزة فيه ،يحتمل أن يكون أهله قد شاركوا في مقاومة الأمير عبد القادر. نشأ بوشوشة في البادية ومارس مهنة رعي الغنم ،وهي مهنة تربي على المسؤولية واليقظة الدائمة ،يكون ممتهنها دائم الصحة والنشاط ،كما تعلم الفروسية والشجاعة من أجداده [34] ،تزوج من عائلة أولاد سيد الشيخ ،وهي الزيجة التي استغلتها بعض المصادر الفرنسية لتأكيد ما وصفت به الشريف بوشوشة من صفات دنيئة ،والتي من بينها أنه "راع" وشريف مزيف وأنه ليس من النبلاء ولا المرابطين [35]،ألقي عليه القبض سنة 1862م وسجن ببوخنفيس – ما بين سيدي بلعباس ووهران- ،لكنه تمكن من الفرار في السنة الموالية أي 1863م [36] واللجوء إلى منطقة فيقيق بعيدا عن عيون الفرنسيين . [37]

لم يلبث الشريف بوشوشة طويلا بفقيق فسرعان ما غادرها إلى نواحي توات أين بدأ يجمع الأتباع استعدادا لثورة محتملة ،وفي هذه الأثناء اندلعت ثورة أولاد سيد الشيخ 1864م فكان دور الشريف بوشوشة الاغارة على العدو والقوافل والقبائل التي تتعامل معه بتشجيع من سي لعلا كبير أولاد سيد الشيخ قبل أن يطلب من سي الزبير أن يعينه في قوات أولاد سيد الشيخ.

[33] – رضوان شافو ،الحملة الفرنسية العسكرية على منطقة وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854-1874م ،مجلة كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،عدد 14 ،مارس 2014 ،ص 12 ،هامش 4.

[34] – (L) Rinne , (L) Rinne ,Histoire De L' insurrection,p 617

[35] – Ibid ,p 104 et p 617.

[36] – أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278 ؛رضوان شافو ،المرجع السابق ،ص 12 ،هـ 4.

[37] – أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278.

وظل بوشوشة يقاتل في صفوف أولاد سيد الشيخ حتى سنة 1970م – وهي السنة التي تراجع فيها قدور بن حمزة ولد سيد الشيخ إلى الحدود المغربية – أين اتجه نحو غزو الجنوب الشرقي بعدما كون فرقا خاصة به وأعلن نفسه شريفا وتلقب بمحمد بن عبد الله .هكذا جاء عند الأستاذ أبي القاسم سعد الله.[38] أما الأستاذ عواريب لخضر والذي اعتمد على الشهادة التي أملاها الشريف بوشوشة على سجانه فيذكر: « بعد خروج بوشوشة من السجن بدأ التحضير للثورة حيث اتصل بثوار أولاد سيد الشيخ الذين تقربوا منه وحاولوا منحه قيادة نصف جنودهم ولكنه رفض كون أولاد سيدي الشيخ كانوا سببا في سجنه ،ثم رحل إلى طرابلس الغرب في سنة غير معروفة قد تكون للبحث عن المال والسلاح أو تلقي تعليمات من الزاوية السنوسية على اعتباراته أحد أتباعها ،وخلال هذه الرحلة زار نفطة ،ثم عاد إلى الجزائر فزار العديد من المناطق مثل وادي ريغ وورقلة ،وحمل معه رسائل إلى بعض الشخصيات من المخادمة وبني ثور والشعانبة، الذين كانت لهم روابط مع الزاوية السنوسية والقادرية منذ ثورة محمد بن عبد الله ومنهم لخضر المخدمي، ولبزأحمد والشائب من الشعانبة والمصطفى من بني ثور، والخازن من عجاجة، كما أقام علاقات طيبة مع الزاوية الرحمانية في عين البيضاء وعجاجة ثم انتقل إلى الأغواط ومنها إلى توات، وحيثما حل استقبل بحفاوة ومتن علاقته بالزوايا والطرق الصوفية، وخلال تواجده بعين صالح أين كان يحضر نفسه للذهاب إلى غدامس، اتصلت به مجموعة من الثوار وهم معطالله بن بوظفر و وبوخشابة وهم من شعانبة ورقلة يصفهم لوشاتوليبي بالمداقنات، ويرى أنهم قطاع طرق كانوا يقومون بعمليات الغزو والنهب، ولكن الدارس للمكون الاجتماعي لهذه الجماعة يرى أنها تضم العديد من الأبطال الذين عرف عنهم الجود والكرم والشجاعة، مثل أولاد

[38] – نفسه ،ص 278، 279.

باحمو من عين صالح أو أولاد لشهب من المنيعة وهذه الجماعة بدأت تشن حرب استفزاز على فرنسا وعملائها إذ لم تكن تغزو إلا العروش والقبائل التي تبث تورطها مع فرنسا، وحسب بوشوشة فإنه كان يرفض المشاركة في هذه العمليات ويطالب بأن يركز على العدو مباشرة، وكانت المجموعة تمنحه نصيبا من غنائمها ثم طلبت منه قيادتها فوافق مع اشتراط أن تكون العملية ضد فرنسا، ولعل هذا النصيب زيادة على ما كان يصله من مؤن وذخائر من مختلف القبائل والعروش كان النواة المادية الأولى لإعلان الثورة.

ومن عين صالح أعلن الشريف بوشوشة نفسه زعيما للثورة فبايعه شعانبة المواضي، ثم شعانبة ورقلة سنة 1870م وبذلك انتقل إلى المرحلة الثانية من مقاومته.» [39] وفي نظرنا فإن أولاد سيد الشيخ قد كلفوا الشريف بوشوشة بقيادة المقاومة بالجنوب الشرقي – بعدما طلب سي لعلا من سي زوبير بن حمزة تعينه – باعتباره من المنطقة ويعلم خباياها وكان قد شارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بها ،وإلا كيف نفسر انضمام الشيخ بناصر بن شهرة إلى مقاومته؟ ثم إن سي زوبير بن حمزة أصبح لاحقا من قادة جيشه ،وأما قضية تواجده بطرابلس الغرب فلا شك أن ذلك كان لتأمين السلاح ،وأما انفصاله عنهم فكان لغرض مواصلة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي.

بعد أن بايعته العديد من قبائل الجنوب الشرقي سنة 1870م دخلت مقاومة الشريف بوشوشة مرحلة جديدة هي مرحلة القوة والانتصار حيث سيطر على العديد من المدن كالمنيعة وورقلة والأغواط وتوقرت ومتليلي في الفترة ما بين 1870م و1872م في

[39] – لخضر عواريب ، بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه ،مجلة كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،عدد 14 ،مارس 2014 ،ص 3،4.

هذه السنة الأخيرة وصل الجنرال دولاكروا إلى ورقلة التي انتقم من أهلها فنكل بهم وأعدم الكثير منهم وغرمهم جزاء مساندتهم للشريف بوشوشة ،وأمر العقيد قوم Gaume بملاحقة الثوار الذي اتجهوا نحو الجنوب والتقى الطرفان في معركة غير متكافئة قرب حاسي تامزقيدة انسحب منها الشريف بوشوشة نحو أقصى الجنوب مخلفا وراءه عشر خيم وعدد من الجمال، وغنم الفرنسيون زمالته بما فيها من مؤن مع النساء ،والخدم، والأطفال وقتل في المعركة عدد من الثوار منهم أحد أحفاد بن ناصر بن شهرة كما ألقي القبض على اثنين من كبار المقرانيين وكانت المعركة يوم 09 جانفي 1872م. [40]

بعد هذه الهزيمة تفرقت أغلب قوات الشريف بوشوشة حيث لجأ الشعانبة إلى العين الطيبة بالجنوب ،وسي الزوبير من أولاد سيد الشيخ إلى عين صالح، ولجأ بناصر بن شهرة ومعه بعض المقرانيين إلى تونس ،وأما الشريف بوشوشة فعاد إلى مواصلة المقاومة بعد استجماع قواه حيث ظهر في جويلية 1873م بين البيض والأغواط، ثم في المنيعة، محاولا استرجاع ورقلة لكنه فشل في ذلك أمام قوات السعيد بن إدريس أخ آغا ورقلة. وحاول العودة إلى النشاط من جديد انطلاقا من عين صالح في مارس 1874 لكنه إنهزم مرة أخرى في معركة ملوك،وأسر من طرف القائد المعراج بن قدور ،ونقل إلى قسنطينة أين أحيل على المجلس العسكري وحوكم كمجرم حرب وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ فيه يوم 29 جوان 1876م بمعسكر الزيتون. [41]

---

[40] – نفس المرجع ،ص 6.

[41] – بعد انهزام قوات بوشوشة في المعركة انسحب منها جميع أتباعه ولم يصمد معه إلا القليل لا يتجاوز الخمسة عشر ،وبينما هم يطلقون النار أصيب بوشوشة في رجله إصابة بليغة لم يقوى على النهوض بسببها فتمكن القايد المعراج بن قدور من القاء القبض عليه .وقد واجه الشريف بوشوشة الموت بشجاعة وصلابة وعزيمة حين نفذ فيه

خـــاتـــمـــة

تعتبر مقاومة أهل الأغواط للاحتلال الفرنسي أنموذجا بارزا لرفض الشعب الجزائري عامة، وسكان الجنوب خاصة للمغتصب الأجنبي، لذلك تأخر التواجد الاستعماري بالمنطقة لأزيد من عشرين سنة، سعى خلالها سعي المجتهد لتحقيق هذا المبتغى لكن أهل الجنوب أفشلوا تلك المساعي، ولولا قلة العدة والعدد لأخروه لسنين طوال. فقد كانوا بحق رجالا وهبوا حياتهم من أجل الذود عن أراضيهم، وكأن لسان حالهم يقول: "الموت بشرف أهون من الحياة في مذلة." وقد وصفهم المستعمر الذي خبرهم في الميدان بذلك حيث ذكر أحد قادته وهو الجنيرال الفرنسي شارل فيرو(Ch Féraud) :« ... إن الرجل العربي في الجنوب يقضي كامل يومه دون الالتفات إلى الغد ... إن مستقبله الوحيد الذي يشغل باله هو ذلك الذي وعد به المؤمنون الصادقون ... وإذا دعي للجهاد نسي كل شيء: عائلته وخيمته وحطامه ،وتناول بندقيته ثم امتطى فرسه ... إن الموت بالنسبة إليه جزاء وشعب مثل هذا يكون خطيرا جدا ويجب أن يقرأ له حساب ... إن العربي في جنوب الجزائر جندي وفارس بالطبع ... يقشعر جسمه لصوت البارود فيسرع إلى سلاحه ولا ينشغل بغير تفقد ذخيرته الحربية أما إلى أين يقاد فهذا أمر لا يعنيه فالمهم أنه يعرف بأنه ينال الجنة إذا قاتل الكفار ومات ... وعند إذ لا يحده شيء ولا يقف عند حد ...

حكم الاعدام .عن ظروف أسر بشوشة ومحاكمته وظروف اعدامه ينظر: أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 285 ،286 ؛ L.Rinn ,op.cit ,pp 578-590 ؛لخضر عواريب ،المرجع السابق ،ص 6.

يضاف إلى كل هذا إن العربي في هذه المقاطعة من بلاد الجزائر يؤمن كثيرا بتاريخ مجده وينقاد بسهولة إلى الدعوات الدينية. »[42].

[42] – شارل فيرو(Ch Féraud) ،صحراء قسنطينة نقلا عن محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1972 ،ص 80، وعن مقاومة أهل الجنوب واستبسالهم في وجه المحتل الغاشم ينظر: (L) Rinne ,Histoire De L' insurrection De 1871 en Algérie et.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4793 *المؤلف المرسل